أثر الاقتباس القرآني في شعر أبي حيّان الجَيّاني.

المشرف الأستاذ الدكتور: امحمد بن لخضر فورار
طالب دكتوراه: محمد الأمين بركات
قسم الآداب واللغة العربية
كلية الآداب واللغات
جامعة بسكرة (الجزائر)

ملخـــص:

يسعى هذا المقال لمعاينة أثر الاقتباس القرآني في شعر أبي حيان الجيّاني، وذلك باستجلاء مواطن الجمال في استدعاءات الشاعر لنصوص القرآن الكريم وبيان جماليتها الفنية متّبعا المنهج الاستقرائي والتحليلي،حيث عمد البحث لاستقراء مواضع الاقتباس وتحليلها تحليلا فنيا.

Abstract :

This article is about getting a closer look at the effect of the Quranic Quotation on (AbiHayan Al-Jiyani)'s poetries, by selecting the beautiful uses of his Quranic quotes and explaining its artistic charm by using both inductive and analytical methods.So that the research is mainly about inducting the quotation places and analyzing them beautifully.

تمهـــد:

يعد القرآن الكريم أهم المصادر الدينية الذي كان و مازال معجزا خالدا بفضل فصاحته و بلاغته ونظمه لذلك لجأ إليه الشعراء يسترفدون منه لإغناء نصوصهم الشعرية و إضفاء الجمال الفني و تعميق تجاربهم.

إنّ الدارس لأدب الأندلس يجد أن أهل هذا القطر أولوا عناية كبيرة بالقرآن، و تعليمه لأبنائهم، إذ نستشف هذا من كلام ابن خلدون الذي يقول في هذا الشأن «و أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن، و الكتاب من حيث هو، و هذا هو الذي يراعونه في التعليم إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك و أسّه و منبع الدين و العلوم، جعلوه أصلا في التعليم، فلا يقتصرون بذلك عليه، بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب و الترسل و أخذهم بقوانين العربية و حفظها و تجويد الخط و الكتاب...».[1]

لهذا لا غرابة أن نجد دواوين شعراء الأندلس تحفل بألفاظ القرآن، و تنهل من معانيه آخذين منه صوره و معانيه توظيفا و اقتباسا.

لقد كانت لثقافة أبي حيان الجيّاني الإسلامية أثرا بارزا في أشعاره إذ احتفى بالقرآن، و اقتبس منه في الكثير من المواضع في مختلف أغراضه الشعرية، و الاقتباس هو مظهر من مظاهر تعامل الشعراء مع موروثهم الديني.[2]

الاقتباس لغة:

كلمة الاقتباس مشتقة من القبس و هي الشعلة من النار، يقال خذ لي قبسا من نار[3]، و منه قوله تعالى ﴿إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾[4]

اصطلاحا:

هو أن يدرج كلمة من القرآن أو آية منه تزيينا لنظامه، و تفخيما لشأنه.[5] و هو أيضا أن يضمن الكلام نظما كان أو شعرا شيئا من القرآن أو الحديث لا على انه منه....[6]

و قد قسم النقاد الاقتباس إلى نوعين هما:

1- **الاقتباس النصي:** و فيه يلتزم الشاعر بلفظ النص القرآني و تركيبه...

2- **الاقتباس الإشاري:** و هو أن يأخذ الشاعر من القرآن الكريم ما يشير به إلى آية أو آيات منه من غير الالتزام بلفظها و تركيبها.[7]

و نحن في هذا البحث نحاول أن نستخرج بعض الاقتباسات النصية، و الإشارية التي وظفها الشاعر أبو حيّان الذي كان اشتغاله على القرآن عظيما إذ ألّف حوله تفسيرا أسماه "البحر المحيط في تفسير القران العظيم".[8]

إن المتتبع لديوان أبي حيان يرى بأن الاقتباس النصي لم يأت بكثرة فنراه مثلا يقول:[9]

أما تلوتَ و عَجْزُ المرْء منقصَةٌ * في مُـحْكمِ الوحْي "فامْشُوا في مَنَاكِبِهَا".**

فهو يقتبس جزءا من آية سورة الملك:﴿ فامشوا في مَنَاكِبِها ﴾[10] فالشاعر يحتقر النفس التي تهوى الإقامة بلا شغل، و لا عمل يدٍ و أن ذلك منقصة لها و مذمة، فالله بسَط هذه البسيطة للسعي فيها، و الكدّ و العمل، فدلّل على قوله بآية قرآنية، و كأنه يحاجُّ بها كلّ نفس هذا حالها، و نراه في مثال آخر يقتبس جزءا من آية فيقول:[11]

خُلقَ الإنسَانُ في كَبْدْ*بِوجُودِ الأهْلِ و الوَلَدْ**

يؤكد الشاعر من خلال اقتباسه للآية الكريمة﴿لقد خلقنا الإنسان في كبدٍ ﴾.[12]حقيقة ضعف الإنسان على الرغم من صحته، و غناه و وجود الأهل ، و الولد حوله إلا أن هذه الأمور لا تدفع شيئا من ضعفه و ألاَّ يتكبر على خالقه.

و من هذا القبيل نرى الشاعر يدعو الإنسان إلى التواضع و الوقار في مشيته بقوله:[13]

و ما أدْرَكَ الأشْيَاءَ غيرَ مُنَطَّقٍ * أخِي لطفٍ يمشِي عَلَى أرضِهِ هَونَا**

ففي الشطر الثاني إشارة إلى قوله تعالى :﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾.[14]

هي دعوة من الشاعر للاتصاف بخلق عباد الرحمان الذين كان سمتُهم التواضع و المشي الهوينى على الأرض، فجاء التوظيف منسجما مع الموضوع الذي كان الشاعر بصدده.

و في قصيدة أخرى يصف فيها الشاعر الجنة، وما أعده الله لعباده المتقين يقول مقتبسا المعنى:[15]

و انتِقَال مِنْ تـاجِرٍ لِرَئِيسٍ*في نعيمٍ و نَضْرَةٍ و سُـــرُورِ**

فهو يشير إلى قوله تعالى:﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَ لَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[16]

و هو استدلال ذكي أتى به الشاعر مصرّحًا بأن التاجر في الجنة يصير رئيسا ؛ لأن الله يعطي في الجنة عطاءً غير مجذوذ و لا مُنتهٍ، فكان موفقا في اختياره و غيره بعيد عن حديث الجنة و ما أجزله الله لعباده المؤمنين يأتي الشاعر بقوله:.[17]

لَمْ يَكُـنْ لَـهُنَّ طَـمْثٌ ***لا بِـحُسْنِو لا أُنْـــسِ

عُــرُبٌ أبْـــكار ٌحُـسْنٍ* أنَـسٌ لَـــيستْ بِشَمْـسِ**

و هو بذلك يشير إلى قوله تعالى : ﴿ لم يطمثْهُنّ إنْسٌ ولا جآن﴾.[18] و قوله تعالى : ﴿فَجَعَلنَاهُنَّ أبْكَارًا عُرُبًا أتْرَابًا﴾[19] فالشاعر يُمنّي نفسه بنعيم الجنة و من هذا النعيم المستطاب الحور العين التي يهبها الله لمن دخل الجنة، فوصف الشاعر للحور يغري النفس و يستهويها و هو يقتبس إشاريا من نص القرآن الحكيم.

- **اقتباس الألفاظ القرآنية:**

لم يقتصر اقتباس أبي حيان على الاقتباس النصي،و الاشاري فحسب بل نجده يستدعي الألفاظ القرآنية في شعره، و ذلك لما تحمله هذه الألفاظ من خاصية دلالية مكثفة، و لأنّ لجوء الشاعر إلى هذه المفردة القرآنية تطوي أمامه مسافات طويلة من التعبير و تلهمه تصوير الموقف أدق تصوير.[20]

فقد حرص على الإفادة من هذه الألفاظ لجمال معناها، و قدرتها الفائقة في التعبير، و من تلك الألفاظ لفظة (صلدا) التي جاءت في قوله تعالى : ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ عليه تُراب ٌفأصابَهُ وابل ٌفتركَه ُصَلْدا﴾[21]

حيث اقتبس أبو حيان لفظة صلدا في قوله:[22]

فلا بمُذالِ اللَّفْظِ سوقيّه و لا * بحوشيّـــــه قَدْ بَاتَ ينحَتُه (صَلْدَا)**

و الصلد هي الحجارة الصلبة التي لا يثبت عليها شيء من النبات، فالله عز وجل عرّى المنافقين من الأعمال الظاهرة التي يراؤون فيها كما يُعرّي المطرُ الحجرَ الصلب، و لهذا نجده ينفي عن شعره أن يكون صلدا حوشيَ الألفاظ مبتذلها بل يقرر في البيت الذي بعده بأنه:[23]

و لـكنَّهُ سَهْـلُالمَنَـاحِي لَطِيفُهُ*فَلَذَّ بِهِ سَمْعًا و يَـرشفُهُ شهْدَا**

و من الألفاظ القرآنية التي وظفها الشاعر في قوله:[24]

فلنْ تَرَى غَيرَ خَتَّالٍ أخَا خُدَعٍ ***يُرِيكَ مَحْضَ الهَوَى في غِشِّ (خنَّاسِ)

فلفظة الخناس جاءت في قوله تعالى: ﴿إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾.[25]

لقد جاء تعبير الشاعر منسجما مع الآية التي تدعو الناس إلى الاستعاذة من الخَناس الذي هو الشيطان كما دعا إلى نبذ الإنسان المخادع الذي يغري أصحابه بالسوء مثل الشيطان الذي يوسوس كلما غفل الانسان عن ذكر ربه.

و من بين الألفاظ التي اقتبسها الشاعر من القرآن لفظة سُعُرٍ التي وظفها،وهو يتغزل بمحبوبته.[26]

غابتْ زَمَنًا فَاطِرِي في قَلَقٍ* منْهَا وجَوَانِحِي غَدَتْ في (سُعَرٍ)**

حيث يشكو غيابها عنه و أن جوانحه مكتوية بالنار مقتبسا من قول الله تعالى: ﴿ إنّ المجرمين في ضلال وسُعُرٍ﴾[27]، فالمجرمون يعرضون على النار لإعراضهم عن الحق، ولكن الشاعر يعرض على نار الاشتياق و الصبابة التي يذكّيها الغياب.

و من جميل الألفاظ التي اقتبسها الشاعر فأحسن توظيفها قوله:[28]

قومٌ إذا غِبْتُ قَالُوا مَا يَلِيقُ بِهم * و إنْ حَضَرْتُ تراهم (خُشَّعًا) نُكُسَا**

فلفظة (خُشّعا) جاءت في قوله تعالى: ﴿خشَّعًا أبصارهم ﴾[29] حيث إن دلالتها في القرآن هنا ؛ أن الكافرين تكون ذليلةٌ أبصارهم فجاءت متوافقة مع قول الشاعر الذي أراد بخشعا ذلَّةُ حُسَّادِه و أنهم لا يجابهونه عند حضوره، فيتكلمون في غيابه فحسن اقتباسه.

و يظهر تأثر الشاعر بمعاني و ألفاظ القران الكريم في كثير من أشعاره، و من ذلك قصيدته التي عارض بها بردة كعب بن زهير ففيها نجده يقتبس من القرآن الكريم و من الحديث النبوي، حيث تعددت صور الاقتباس فيها ما بين الاشارية و النصية و استدعاء الألفاظ القرآنية، ومن بين الألفاظ التي استدعاها الشاعر يقول:[30]

إنَّ الجِهَادَ و (حَجُّ البيتِ) مُخْتَتَمًا*بزَوْرةِ المُصْطَفَى لِلْعَفْوِ تأْمِيلُ**

فأبو حيان يشير إلى قوله تعالى : ﴿على الناس حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا ﴾.[31]

فهو تقرير منه لفريضة الحج، ووجوبه لمن كانت له قدرة و استطاعة؛ إذْ نستشف من خلال اقتباسه معتقدَه حول الجهاد و الحج ؛ الذي يوافق القرآن و السنة التي جاء بها الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم.

و ثمة كثير من الألفاظ القرآنية التي أودعها الشاعر ديوانه مثل:[يأجوج[32]، جحيم[33]، جنة عدن[34]، روح ورضوان[35]، ليلة القدر[36]، حور[37]،...

و في أغلبها تعكس لنا مقدرة الشاعر، و ثقافته، و حسن توظيفه و استدعائه للألفاظ و الآيات بما يتناسب مع غرضه الشعري الذي يريده.

لقد كانت الألفاظ و الآيات القرآنية منبعا يستقي منه الشاعر و يرصّع بها نصوصه؛يستجلب من خلالها البركة و الحجة ؛ هذا الأمر الذي يدل على إعجابه التام بالقرآن الكريم و حفظه ما سهَّل له اللغة و ذلّلها.

- **اقتباس القصص القرآني:**

نجد القصة القرآنية حاضرة في شعر أبي حيان سواء الإشارة إليها تلميحا أو تصريحا، و لربّما كانت الإشارة دون تفصيل أبلغ من ذكرها لأن المتلقي يعلم تفاصيل القصص القرآني هذا من جهة، ومن جهة أخرى يُبِينُ توظيفُها عن ثقافة الشاعر و تأثره بالقرآن الكريم، و من بين هذه القصص التي استلهمها قصة يوسف، و موسى، و هاروت، و سليمان عليهم السلام، وقصة الإسراء، و غيرها...

أولا: قصة يوسف عليه السَّلام:

كانت قصة يوسف عليه السلام أكثر القصص التي تمثل بها الشاعر و وظفها مستدعيا جمال يوسف تارة،ومحنته تارة أخرى و نجد ذلك في قوله:[38]

يَكُون في نُورِ قَوَافِي نِهَايةٍ* مِنَ الحُسْنِ إذا أضْحَى كيوسُفَ في مِصْرِ**

لقد استدعى الشاعر جمال يوسف ليرسمه على ممدوحه الغلام الذي لم يتجاوز الرابعة عشر، و لعل كلف الشاعر به رفعه إلى منزلة الحسن التي عند سيدنا يوسف عليه السلام، بل يبالغ في ذلك إذْ تراه لا يُمَيّزه أبشر هو أم ملك فيقول: (39)

صيغَ مُـؤَن نُــورٍ فلا يُعـلمْ هلْ * بشَــرًا أنشَــأَهُ ربّي أمْ مَلَكْ**

مِــنْ بَـنِي التُّرْكِ صَـغيرٌ لم يَـدَعْ*لِفُؤَادِي جَـلَدًا و لا تــرَكْ**

لقد أخذ الشاعر معاني الحسن و الجمال من قول الله تعالى واصفا عبده يوسف عليه السلام: ﴿فلمارأينهأكبرنهوقطّعنأيديهنّ،وقلنحاشَللهماهذابشراًإنْهذاإلامَلكٌكريم﴾ (40)

فاستحضار قصة قرآنية في نص شعري هو تشريف له و للممدوح لهذا نجد أبا حيان يستلهم القصة ليزيد من بهاء الصورة و رونقها.

و الملاحظ أن الشاعر في استحضاره لقصة يوسف عليه السلام كان أغلبه في جمال الوجه و حسن المحيا فنجد ذلك في أمثلة منها: (41)

جميــلُ المُحَيَّا مُسْتَنيرٌ كأَنَّـمَا ***محاسِنُهُ تُشْتَقُّ مِنْ حُسْنِ يُوسُـفَ

و كذلك يصف شخصا جميل الوجه مستحضرا جمال يوسف : (42)

قَمَــريُّ الـوجْهِ نُورِيُّ السَّنَا ***لَـوْ رَآهُ هَـامَ فيهِ يُوسُــفُ

و أيضا قوله في الحسن: (43)

أَشْبَهَتَ يُوسُفَ حُسْنًا فالمحِبُّ لَهُ*سبْعٌ شِدَادٌ عَصَى فيهِنَّ لائِمَهُ**

في هذا البيت نجد أن الشاعر أعياهُ حُسنُ ممدوحه حُبّا وشغفا وأنّ هذا الحُب آل به إلى سبعٍ شدادٍ مستحضرا السبع الشداد التي مرت بقوم يوسف عليه السلام و جاء ذكر ذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّيَأْتِيمِنبَعْدِذَٰلِكَسَبْعٌشِدَادٌيَأْكُلْنَمَاقَدَّمْتُمْلَهُنَّإِلَّاقَلِيلًامِّمَّاتُحْصِنُونَ﴾ (44)

كما نجد الشاعر يستحضر كيد النسوة صويحبات يوسف عليه السلام، في قالب النصح و الإرشاد فيقول: (45)

جُبِلَ النِّسَــاءُ عَلَى التكتُّم فاحْتَرِزْ*مِــنْ كيــدِهِنَّ فإنَّهُ لَعَـظِيمُ**

و هو يشير بذلك إلى قوله: ﴿ قَالَ إنّه من كَيْدِكُنَّ إنَّ كَيْدَكُنَّ عظِيم ﴾ (46)

حيث ينصح الشاعر بالتحرز من كيد النساء لأنَّ جِبلتَهن مصقولة على كتمان الكيد كما كتم النسوة على عزيز مصر خبر مراودة يوسف عليه السلام فكان استحضار الشاعر منسجما دقيقا في اختياره.

ثانيا: قصة موسى عليه السلام:

كان لقصة موسى عليه السلام في شعر أبي حيان حضورا ينم عن ثقافته و توظيفه للحس الديني بشتّى صوره مما يؤدي إلى تقوية معاني نصه الشعري إذ يتخذ من صورة النبي موسى عليه

السلام رمزا مقدسا ليرسمه على ممدوحه بغية تشريفه و رفع مكانته مثل ما وجدناه في قصيدة يمدح أحد الفضلاء.[47]

و إنَّ عليا مِن محمد الرضا ***كهارون من موسى حديث المنطَّقِ

حيث إن الشاعر شرّف ممدوحه كما شَرُفَ هارون بالنبوة لمّا أشركه موسى عليه السلام و ذلك في قوله تعالى:﴿واجْعَل لي وزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُون أَخِي.. أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وأَشْرِكْه ُفِي أَمْرِي﴾[48] و ما يزال الشاعر يرفع شأن ممدوحه حتى يلقي عليه هالة التقديس و المعجزات فيقول:[49]

و كَمْ مِنْ يَدٍ بيْضَاءَ جَاءَ لنَا بِهَا ***فأغنَى ابنُ موسَى كلَّ أَغْبَرَ مملِقِ

فهو يشير إلى المعجزة التي وهبها الله موسى عليه السلام و هي من قوله تعالى: ﴿ واضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ ِسُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ﴾[50]

لقد كانت معجزة موسى أنه يدخل يده في جيبه فيخرجها بيضاء تتلألأ كأنها قطعة من قمر، لذلك نجد الشاعر وظف هذه الصورة لكثرة عطاءات الممدوح و كرمه، فجاءت التوظيف منسجما متوافقا.

و نرى الشاعر مرة أخرى يعيد معجزة موسى عليه السلام واصفا بها ممدوحه "موسى" بالكريم السمح بقوله:[51]

إذا اسْودَّتِ الأيدي لبخْلٍ يَشِينُهَا * فكَمْ مِنْ يدٍ بيضَاءَ جَادَ بها مُوسَى**

إن استدعاء الشاعر معجزة اليد البيضاء كان موفقا و دقيقا، حيث إنه مهد لذلك بأن البخل إذا عمَّ و اسودَّ الأفق به جاءت على حين غرةٍ يدُ ممدوحه فانقشع ضبابُ البخل بضياء الكرم، و هذا المعنى الخفي لاستدعاء صورة المعجزة.

و في قصيدة يعارض فيها كعب بن زهير يستدعي الشاعر قصة انشقاق القمر لسيدنا محمد صلى الله عليه و سلم و يقرنها بمعجزة انفلاق البحر لموسى عليه السلام، و هي في معرض مدح الرسول و تعداد معجزاته يقول في ذلك :[52]

فللرّسول انشقاقُ البدر نَشْهَدُهُ* كما لموسى انفلاقُ البَحْرِ مَنْقُولُ**

فهو يشير إلى الآيتين الكريمين: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾[53] و قوله تعالى:﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كالطَّوْدِ العظيم ﴾[54]

فالتشبيه الذي عقده الشاعر بين الرسول صلى الله عليه و سلم و موسى عليه السلام إنما من باب الاستشهاد، و بيان المعجزات للذين كذّبوا فرَدَّ عليهم بأن ما جاء به الرسول الكريم هو من قبيل ما جاء به موسى من المعجزات إثباتا للنبوة و بيانا للرسالة الإلهية، فَحُسُنَ الاستدعاء و كان موفقا فيه.

ويستدعي الشاعر أيضا اسم موسى،و إبراهيم عليهما السلام في معرض رده على الصوفية:[55]

فارقَوا يدَّعون أمرًا عَظِيمًا * لمْ يَكُنْ للخَلِيلِ و لا الكلِيمِ**

حيث نفى ادّعاءاتهم بأنهم يرون الله مكاشفة من غير واسطة و هذا ما لا يتقبله عقل و هو ضرب من

الخطل، فأنبياء الله لم ينقل لنا أنهم رأوا الله جهرةً بل نفى الله ذلك عن موسى في قوله : ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ [56] مع أن لموسى عليه السلام مكانةٌ خاصة و أنه كليم الرحمان حيث قال الله فيه : ﴿ وكَلَّمَ اللهُ موسى تكْلِيمًا ﴾ [57] و لم يحظ برؤية ربه جهرة كما تَدَّعيه الصوفية،بلْ يفترون على الله، و لا حتى إبراهيم عليه السلام ؛ الملقب بأبي الأنبياء و خليل الرحمان و حبيبه ؛ الذي قال تعالى فيه : ﴿ واتَّخَذ اللهُ ابراهيم خَلِيلاً ﴾ [58] و أعظم المنازل رفعة هي الخلة و أعلاها شأنًا إلاَّ أن ذلك لم يمكّن نبي الله إبراهيم من رؤية الله عز و جل فالشاعر أحسن الربط و وُفِّق في الاستدعاء إذ لا حجة تقارع حجة الأنبياء عليهم السلام.

ثالثا: قصة الرسول صلى الله عليه و سلم:

استدعى أبو حيان من السيرة النبوية قصصا ورد سردها في القرآن الكريم و لعل أبرزها حادثة الإسراء و المعراج و معجزة انشقاق القمر إلى شطرين في قصيدتين مدحيتين يمجد فيها جناب الرسول الكريم، و يعدد معجزاته التي وهبها الله له من ذلك قوله: [59]

و في الأقصى المعراج معراجُ يُوسُفٍ * فَيَصْعَدُ للسَّبْعِ الطِّبَاقِ و يسْتخْلِي**
و ليسَ بمحْتَاجٍ لجبريلَ لا و لا ***براق و لَكِنْ رَمْيَةُ القَوسِ بالنَّبْلِ

فالأبيات تحيلنا إلى قصة الإسراء و المعراج التي جاء ذكرها في سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصى الذِي بَارَكْنَا حوله﴾ [60] و التي جاء تفصيلها تفصيلا شافيا وافيا في السيرة النبوية، فكان الشاعر قد أعطى إشارة إلى هذه الحادثة ليزداد نصه الشعري قوة وحجة، ثم يذكر حادثة انشقاق القمر، والتي هي من علامات قيام الساعة في قوله: [61]

و في انشقاق أخيهِ البَدْرِ حينَ بَدَا * فِرْقَيْنِ و اختلفتْ فيهِ التَّعَاليلُ**

حيث أجاد الشاعر الاستحضار،و حَسُنَ تشبيهه للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه أخو البدر في الجمال و البهاء، فجاء البيت مستحسنا بالصورة قوية الحجة بذكره للمعجزة التي وردتْ في قوله تعالى:﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [62]

رابعا: قصة هاروت:

تناول أبو حيان قصة هاروت الملك الذي أرسله الله مع رفيقه ماروت لتعليم الناس السحر امتحانا وابتلاء من الله لعباده قال

تعالى:﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ وَلَكِنّ ۖالشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْر ۖوَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوت ۖوَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَان ۖمِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْن ۗفِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْن ۗاللَّهِ﴾ [63] حيث وظف أبو حيان افتتان الناس بما جاء به هاروت من السحر في غزله فيقول: [64]

مُجَذَّبُ عينٍ يجْذبُ القلبَ عُنْوةً*كأنَّ بها هَارُوت يأخُذُهُ سَلْطَا**

فقد جذبته عين محبوبة عنوة و لا مناص لقلبه من ذلك، كما يستحكم السّحر في الإنسان جذبا أو دفعا، و هذه من سنن الشعراء الذين عادة ما يشبهون فعل العيون بالسحر و أثره، وهذا ما يؤكده أبو حيان في بيت آخر متغزلا بسحر العيون:(65)

و عَـيْنٌ لَـهُ لحَصَـافتِهِ نــاظِرٌ*كأن بها هاروتَ يَنْفُثُ بالسِّـحْرِ**

حين يستدعي قصة السحر التي رآها في مقلة محبوبه بأنّ لها سحرا شديد التأثير على قلبه، و الجميل في الصورة التي وظفها الشاعر أنه جعل الملك هاروت ينفث سحره في عينيّ محبوبه فازدادت الصورة قوة وجمالا بهذا الاستدعاء، كما جاء مثل هذا في بيت آخر.(66)

ألاَ مَـالَهَا لُحْـصًا بِقَلْبِي عَـوابثا*أظـنُّ بهَا هَارُوتَ أصْبَحَ نَافِثَا**

نلاحظ من خلال الأبيات التي جاء فيها الشاعر بقصة هاروت تتعلق بفتنة العيون التي دائما تصيب الشعراء و المحبين و تأخذ بقلوبهم.

لم يقتصر ديوان الشاعر على القصص القرآنية التي سبق ذكرها، بل قد استدعى قصة سليمان،و الخليل، و الخضر عليهم السلام، و قصة آصف صاحب سليمان، مما يدل دلالة واضحة على ثقافة الشاعر الإسلامية، و حضورها و تنوع أشكالها تارة تلميحا و أخرى تصريحا.

.

الهوامش والمراجع:

(1)–ابن خلدون، المقدمة، دار إحياء التراث العربي، ط 4، (د ت)، ص 538.

(2)–إبراهيم منصور الياسين، استيحاء التراث في الشعر الأندلسي عصر الطوائف و المرابطين، عالم الكتاب الحديث، (ط1) الجريدة عمان، 2006، ص 18.

(3)–ينظر: أساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط(1) 1998، ج2، ص 7 (مادة قبس).

(4)– سورة طه، الآية: 10.

(5)–محمد بن عمر الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، مطبعة الآداب، مصر، (د ط)، 1318ه، ص 112.

(6)– سعد الدين التفتازاني، مختصر المعاني، مؤسسة دار الفكر، إيران، (د ت ط)، ص 308.

(7)– عبد الهادي الفكيكي، الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي، دار النمير، سوريا، ط1، 1996، ص 13.

(8)– ينظر: ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، بوزيان الدراجي، دار الأمل، الجزائر، ط1، 2009، القسم الثالث، ص 564.

(9)– أبو حيان، الديوان، تحقيق وليد بن محمد السراقبي، دار الوفاء، مصر، ط1، 2010، ص 346.

(10)–سورة الملك، الآية: 15.

(11)–أبو حيان، الديوان، ص 351.

(12)– سورة البلد، الآية :3- 4.

(13)–أبو حيان، الديوان، ص 317.

(14)–سورة الفرقان، الآية: 63.

(15)–أبو حيان، الديوان، ص 145.

(16)–سورة الإنسان، الآية: 11.

(17)–أبو حيان، الديوان، ص 168.

(18)–سورة الرحمن، الآية: 56

(19)–سورة الواقعة، الآية: 36- 37.

(20)– جمعة حسين يوسف الجبوري، المضامين التراثية في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين و الموحدين، دار صفاء، عمان الأردن، ط1، 2012، ص 57.

(21)– سورة البقرة، الآية :264.

(22)– عبد العزيز الساوري، مستدرك الزيادات على ديوان أبي حيان الغرناطي، دار الوفاء، مصر، ط1، 2012، ص 45.
(23)–المصدر نفسه: ص 45.
(24)–أبو حيان، الديوان، ص 183.
(25)–سورة الناس، الآية: 04.
(26)–أبو حيان، الديوان، ص 132.
(27)–سورة القمر، الآية: 47.
(28)–أبو حيان، الديوان، ص 180.
(29)–سورة القمر، الآية: 7.
(30)–أبو حيان، الديوان، ص 376.
(31)–سورة آل عمران، الآية: 97.
(32)–أبو حيان، الديوان، ص 87.
(33)–المصدر نفسه: ص 63.
(34)–المصدر نفسه: ص 122.
(35)–المصدر نفسه: ص 318.
(36)–المصدر نفسه: ص 131.
(37)–المصدر نفسه: ص 168.
(38)– عبد العزيز الساوري، مستدرك الزيارات على ديوان أبي حيان، ص 59.
(39)–المصدر نفسه، ص 82.
(40)–سورة يوسف، الاية: 31.
(41)–أبو حيان، الديوان، ص 227.
(42)–المصدر نفسه: ص241.
(43)–المصدر نفسه: ص 300.
(44)–سورة يوسف، الآية: 48.
(45)–أبو حيان، الديوان، ص 305.
(46)–سورة يوسف، الآية: 28.
(47)–أبو حيان، الديوان، ص 254.
(48)– سورة طه، الآيات: 29- 32.

(49)–أبو حيان، الديوان، ص 254.
(50)– سورة طه، الآية: 22.
(51)–أبو حيان، الديوان، ص 167.
(52)–المصدر نفسه: ص 381.
(53)–سورة القمر، الآية: 1.
(54)–سورة الشعراء، الآية: 63.
(55)–أبو حيان، الديوان، ص 387.
(56)– سورة الاعراف، الآية: 143.
(57)–سورة النساء: الآية: 164.
(58)–سورة النساء، الآية 125.
(59)–أبو حيان، الديوان، ص 286.
(60)–سورة الإسراء، الآية: 1.
(61)–أبو حيان، الديوان، ص 382.
(62)–سورة القمر، الآية: 1.
(63)–سورة البقرة، الآية: 102.
(64)–أبو حيان، الديوان، ص 205.
(65)– عبد العزيز الساوري، مستدرك الزيادات على ديوان أبي حيان، ص 60.
(66)–أبو حيان، الديوان، ص 348.